ترجمة الإمام "مسلم" والتعريف بصحيحه (٥)

مادة حديث عام (٢)

أ. / خالد مصطفى عبد القادر
قسم الدعوة وأصول الدين
كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية
شاه علم – ماليزيا
waleed.eltantawy@mediu.edu.my

***خلاصة*—هذا البحث يبحث في مظاهر عناية الأمة الإسلامية بصحيح مسلم، وأن شروحُ مسلمٍ مظهرٌ من مظاهر عناية الأمة بصحيح مسلم، ومعرفة المستخرجات على صحيح مسلم، وملخصاته، وكيف يمكن الجمع بين صحيح مسلم، وصحيح البخاري.**

الكلمات المفتاحية: عناية الأمة بصحيح مسلم، المناولة، الإجازة، المستخرجات، الملخصات.

I. *المقدمة*

البحث عن معرفة عناية الأمة الإسلامية في مشارق الأرض، ومغاربها بصحيح مسلم تالية لعنايتها بصحيح البخاري، وقد اجتهد العلماء في كل جيل لأن يسمعوا، أو يقرءوا صحيح مسلم أكثر من مرة، وعلى أكثر من شيخ، ولا شك أن هذا يزيد من الثقة في نقل الكتاب دون تحريف أو تغيير.

II. موضوع المقالة

مظاهر عناية الأمة الإسلامية بصحيح مسلم:
لقد كانت عناية الأمة الإسلامية في مشارق الأرض، ومغاربها بصحيح مسلم تالية لعنايتها بصحيح البخاري، وسنقتصر على بيان وجوه العناية التي وثقت صحيح مسلم وحفظته عبر الأجيال؛ ليستفيد منه المسلمون، واثقين من سنة نبيهم التي أودعت فيه.
انتقل صحيح مسلم إلى العلماء بالسماع أو القراءة أو المناولة أو الإجازة، جيلًا بعد جيل، شأنه في ذلك شأن المؤلفات في العلوم الإسلامية، وإن كانت العناية هنا في هذا المجال أكثر وأوفر، فالنقل كان أولًا ومتواترًا لكتاب الله، ثم تلاه ذلك في العناية حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لم يقدم عليه غيره، ثم تلا ذلك في العناية الصحيحان، وصحيح مسلم أحد هذين الكتابين، فالعناية كانت به فائقة.
ويصف الإمام النووي كيف انتقل صحيح مسلم إليه خاصة، وإلى عصره عامة، فيقول: "صحيح مسلم -رحمه الله- في نهاية من الشهرة، وهو متواتر عنه من حيث الجملة، فالعلم القطعي حاصل بأنه تصنيف أبي الحسن مسلم بن الحجاج.
وأما من حيث الرواية المتصلة بالإسناد المتصل بمسلم، فقد حصلت طريقه عنه في هذه البلدان في رواية أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان عن مسلم، ويروى في بلاد المغرب مع ذلك عن أبي محمد أحمد بن على القلانسي عن مسلم، ورواه عن ابن سفيان جماعة منهم الجلودي، وعن الجلودي جماعة منهم الفارسي، وعنه جماعة منهم الفراوي، وعنه خلائق منهم منصور، وعنه خلائق منهم شيخنا أبو إسحاق".
وهذا الذي قاله النووي قاله غيره، وإن كان الشيوخ مختلفين في طريق الوصول إلى هذا الإمام أو ذاك غير النووي، هذا وقد اجتهد العلماء في كل جيل لأن يسمعوا، أو يقرءوا صحيح مسلم أكثر من مرة، وعلى أكثر من شيخ، ولا شك أن هذا يزيد من الثقة في نقل الكتاب دون تحريف أو تغيير.
ونظرة سريعة إلى سماعات، وقراءات صحيح مسلم التي أثبتها العلماء على نسخ مسلم الكثيرة المخطوطة في مشارق الأرض ومغاربها، تبين لنا هذا التواتر الذي قاله الإمام النووي.
وعندما أُريد طبع صحيح مسلم، قام له علماء أجلاء وحققوه وقارنوه بين نسخ مخطوطة منه، فجاء على أتم وأدق تصحيح، مقيدًا بالشكل الكامل، ومن ذلك ما طبع بدار الطباعة بالأستانة عام ألف وثلاثمائة وتسعة وعشرين، يقول الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي: وهذه النسخة لم يألُ القائمون على طبعها جهدًا في تصحيحها، ومراجعة النسخ المخطوطة التي كانت تحت أيديهم، وما يزال العلماء يطبعون صحيح مسلم، ويُعنَون بضبطه وتحقيقه.
ولم يكن انتقال صحيح مسلم خاصة هو وصحيح البخاري كتابة وسماعًا وقراءة فقط، وإنما كان علماء الأمة الإسلامية يعنون بحفظه ومدارسته، والتنبيه إلى ما فيه وما ليس فيه من الأحاديث وألفاظها، وزياداتها، واختلاف رواياتها.
ويعطينا الشيخ عبد الحي الكتَّاني -وهو من كبار المحدثين- في كتابه "فهرس الفهارس والأثبات" عند كلامه عن والده المحدث عبد الكبير الكتاني، دلالةً واضحةً على هذه العناية، فيقول: "وديوانه الصحيح -يعني ديوان مسلم- ختمه نحو الخمسين مرة ما بين قراءته له على المشايخ، وإسماع له، وكان يعرفه معرفة جيدة، وأتم سماع وإسماع الكتب الستة، يستحضر أحاديث الكتب الستة كأصابع يده، وإن أنسى، فلن أنسى أني كنت مرة أسمع عليه كتاب "المجالس المكية" لأبي حفص المكي، من أصل عتيق بخط الحافظ أبي العلاء العراقي، فوصلنا فيه إلى حديث عثمان في كيفية وضوء النبي -صلى الله عليه وسلم- فمع عزو أبي حفص له إلى مسلم، ذكر فيه المسح على الأذنين، فقال لنا الشيخ الوالد: "مسح الأذنين في الوضوء" لا يوجد في الصحيحين من حديث عثمان ولا غيره.
فقمت بعد ذلك على ساق، في مراجعة نسخ صحيح مسلم العتيقة المسموعة، وغيرها من المستخرجات والمصنفات الأثرية، فلم أجد لذلك ذكرًا فيها، فأيقنت بحفظ الرجل وقوة استحضاره وخوضه في السنة".
- شروحُ مسلمٍ مظهرٌ من مظاهر عناية الأمة بصحيح مسلم:
وإن من عناية الأمة الإسلامية بصحيح مسلم مرة أخرى، أنه تصدى كثير من العلماء لشرحه، ومخطوطات هذه الشروح منتشرة في مكتبات العالم كلها تقريبًا، وبعضها طبع طبعًا محققًا، وبعضها قارن بين نسخ مسلم ونبه على ما فيها من اختلافات سببها زيادات يسيرة أو سببها اختلاف أصحابها، واختلاف أوقات أخذهم لها من مسلم -رحمه الله تعالى.
ومن هذه الشروح: كتاب "المعلم بفوائد مسلم" للإمام أبي عبد الله محمد بن علي بن عمر المازري، الذي توفي سنة ست وثلاثين وخمسمائة من الهجرة، ومن هذه الشروح: "إكمال المعلم بفوائد مسلم" للقاضي عياض بن موسى

اليحصبي، الذي توفي سنة أربع وأربعين وخمسمائة من الهجرة، وعليه إكمال المعلم لمحمد بن خليفة بن عمر الوشناني الأبي التونسي، الذي توفي سنة ثمانمائة وسبع وعشرين، وهو تكملة كما قلنا للشرح السابق -شرح القاضي عياض.

ومن هذه الكتب أيضًا: "المفهم لما أُشكل من تلخيص كتاب مسلم" لأبي العباس القرطبي، الذي توفي سنة ست وخمسين وستمائة من الهجرة، ومن هذه الشروح: "المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج" ليحيى بن شرف النووي، الذي توفي سنة ست وسبعين وستمائة من الهجرة.

وقد استفاد الإمام النووي مما سبقه؛ كالمازري والقاضي عياض والقرطبي، فاستفاد من كل هؤلاء في شرحه، فلقي قبولًا عند العلماء والمستفيدين منه والباحثين، وكان له شرف عزو الآراء إلى أصحابها وهذه أمانة علمية ينبغي أن نتعلمها من الإمام النووي وغيره، وإذا كان بعض الباحثين يرى أن هذه تغضّ من شأنه فلا ينسب الأقوال إلى أصحابها، بل يقول بعض العلماء: "إن من بركة العلم عزوه إلى أهله" فهي تعلي من شأن هذا الناقل الأمين.

كما أُلفت كتب تعنى بنص صحيح مسلم، من حيث الجمع بينه وبين صحيح البخاري.

- المستخرجات على صحيح مسلم:

ومن هذه الكتب المستخرجات: "المسند المخرج على كتاب مسلم بن الحجاج" لأبي عوانة يعقوب الإسفراييني، الذي توفي سنة ثلاثمائة وست عشرة، وهو من تلاميذ الإمام مسلم، ومن هذه المستخرجات: "المسند المستخرج" على كتاب أبي الحسين مسلم، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، الذي توفي سنة أربعمائة وثلاثين من الهجرة، ومعنى المستخرجات: أن يعمد المصنفون إلى كتاب ما، مثل صحيح البخاري أو مسلم، فيروونها من غير طريق صاحب هذا الكتاب، ويلتقون به في شيخه أو في شيخ شيخه، وفائدة المستخرجات تأكيد الصحيح وتكثيره، وغير ذلك من الفوائد، وفي هذا عناية بصحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى.

- ملخصاته:

ومن الملخصات المفيدة، والتي تيسر الاستفادة من الأصل، وهو صحيح مسلم: "تلخيص صحيح مسلم" لأحمد بن عمر الأنصاري القرطبي أبي العباس، الذي شرح هذا التلخيص بكتابه المفهم الذي سبق أن ذكرناه في الشروح، ومنها: "المختصر الجامع المعلم بمقاصد جامع مسلم".

- الجمع بين صحيح مسلم، وصحيح البخاري:

ومنها الجوامع التي جمعت بين مسلم والبخاري: الجمع بين الصحيحين للأشبيلي وللحميدي، وغير ذلك من العناية التي عني بها العلماء حول صحيح مسلم وحول كتاب البخاري قبله؛ لأنهما أصح كتابين بعد كتاب الله -عز وجل- وتلقتهما الأمة بالقبول، وننوه إلى الاسم الكامل لصحيح مسلم، وهو كما ذكره بعض العلماء - وهو ابن خير الأشبيلي- قال: هو "المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل، عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم".

وهذا الاسم ينبئ عن طبيعة صحيح مسلم أنه اختصره من الأحاديث الصحيحة، ولم يجمع الأحاديث الصحيحة كلها، وأنه توخى فيه الصحة عندما قال: "بنقل العدل عن العدل عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم" وبأنه ضمنه الأحاديث المرفوعة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم.

المراجع والمصادر

١. الإمام مسلم مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢. الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) -تذكرة الحفاظ. دار الكتب العلمية بيروت-لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م

٣. ابن أبي يعلى أبو الحسين محمد بن محمد (المتوفى: ٥٢٦هـ) طبقات الحنابلة. المحقق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة – بيروت.

٤. أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢

٥. المزي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠

٦. الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر : مؤسسة الرسالة، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م

٧. الحاكم أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) المدخل إلى الصحيح، المحقق: د. ربيع هادي عمير المدخلي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤

٨. -السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر المتوفى ٩١١هـ تدريب الراوي في شرح تقريب النووي: ط دار الكتاب العربي تحقيق أحمد عمر هاشم ـ ١٤٠٩هـ